الإمام الحسين

ثورة لا تنتهي



هادي المدرسي

مؤسسة الوفاء
بيروت



الإمام الحسين

ثورة لاتنتهي

هادي المدرّسي

الإمام الحسين

ثورة لا تنتهي

مؤسسة الوفاء
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤٥٧ - هاتف ٢٧٧٣٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ

الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيهِم

غَيرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِم

وَلَا الضَّالِّينَ

الحسين . . . ثورة لا تنتهي

○ ﴿١﴾ ○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○○

لماذا الحسين . ؟

ماذا يعني بالنسبة لنا .

كيف صنع الثورة . ؟

ما هي معطياتُها . ؟

مع هذه التساؤلات وسواها ، نطرح قضية الحسين . قضية أقسى وأنبل نضال دموي خاضته قوى الايمان ، ضد قوى الالحاد . فانتصرت قوى الايمان ، لانها انهزمت في معركة المواجهة ، وانهزمت قوى الالحاد لأنها انتصرت فيها . . .

وجاء انتصار الحسين ـ المقتول ، على يزيد ـ القاتل في المدى الطويل ، ليؤكد حتمية تاريخية هي : حتمية انتصار الإيمان في .. النهاية .

ولأن الإيمان هو جوهر الإنسان ...

ولأن الانسان ـ بلا إيمان ، يعني الإنسان ـ بلا واقع ، يعني هيكل انسان ، فإنّ أية سيادة لقوى الألحاد ، مهما كانت ثقيلة وشاملة ، لن تكون سوى فقاعات فارغة ، قد تنتفخ بعض الوقت ، ولكنها تتبخّر أمام زحف الإيمان القوي ... اخيراً .

○ ﴿٢﴾ ○○○○○○○○○○○○○○○○○○

إنّ بقاء الحسين ، ليس سراً .

ابحثوا عن السرّ في عطاء الحسين الكثير . . الكثير .

لقد مرت على الحسين أعاصير كانت الواحدة منها تكفي لاقتلاع جبل . ولكن الحسين ازداد اشعاعاً وانتشاراً وعطاءاً .

ويحكي التاريخ : ان بعض الأجبال عاصروا أياماً كانت كلمة «الحسين» تكفي لتعليق قائلها على أعواد المشانق . !

ويحكي التاريخ : ان بعض الأجيال عاصروا أياماً كانت كلمة «الحسين» مغامرة عنيفة ، تقطّع الأَيدي وتطيّر الرؤوس . !

ولكن الحسين ازداد اشعاعاً وانتشاراً وعطاءاً : ومع مرور الزمن اصبح الحسين «قضية» . قضية كل المظلومين ، والمقهورين والمؤمنين !

والناس الذين عايشوا الأيام العصبية في تاريخ قضية الحسين ، كانوا يعيشون في عطاياه ، أكثر من غيرهم ،فترداد إسمه كان سلاحهم في مواجهة التحدي وسرّ بقائهم . . أيضاً .

صحيح أنّ العملية كانت مغامرة قاتلة ، ولكنّهم كانوا يشعرون فيها بألم لذيذٍ . . ولذيذٍ جداً .

واللذة هنا ، هي لذة الموت من أجل الحسين . .

الموت من أجل الحق . .

الموت من أجل الله .

وذلك هو سرّ عطاء الحسين الكثير . . الكثير

ооооооооооооооооо (٣) о

إن الثورة ليست هي الهدف .

ويخطيء أولئك الذين ينحتون حول كل ثورة مع قطع النظر عن هويتها ، هالات من المجد والقداسة حتى وإن كانت قد اتت على حساب الدم والطغيان ، والكنس الكامل للمعارضة .

هذا ما تؤكده ثورة الحسين . .

وتجربة ثورة الحسين ، هي تجربة رائدة ، جاءت للكشف عن «الأهداف» التي يجب من أجلها اصطناع الثورة ،

وبدونها تنقلب الثورة، من عملية تقويمية الى ردّة مأساوية.

هكذا.. فجّر الحسين ثورة في الثورة.

كانت الثورة تصنع من أجل السيطرة، فصنعها الحسين من أجل اسقاط.. السيطرة.

وكانت الثورة تصنع من أجل تحميل الضمير الإنساني ركاماً من الغباوة والجهل والألحاد. فصنعها الحسين من أجل إعطاء الضمير الإنساني مزيداً من الوعي والتعقل والإيمان.

وكانت الثورة تصنع من أجل الشيطان. فصنعها الحسين من أجل... الله.

فالثورة ، هي ثورة «العدل والحرية» على الظلم والاستعباد .

الثـورة ، هي ثورة «الصـلاة» على الارتداد .

الثورة ، هي ثورة الإيمان على اليأس .

هذا ما تؤكده ثورة الحسين .

وما دمنا نملك أن نستنير بثورة الحسين فلا داعي لليأس والارتداد ، والاستعباد .

○ ﴿٤﴾ ○○○○○○○○○○○○○○○○○○

مع الحسين ،

حرام أن نستجدي من هنا وهناك وجوهاً ثورية قد تكون مزيفة . لنتعرف عن طريقها على .. الطريق

ومع ثورة الحسين ،

حرام أن نتسكع على أبواب هنا ، وأبواب هناك للحصول على تجارب ثورية . قد تكون ـ هي الأخرى ـ مزيفة . للتحرك على ضوء مواقفها وأحداثها ومعطياتها .

إنّ الحسين الذي أعاد في فترة مضغوطة

بين صبح وعصر صياغة أمة كاملة كانت قد ضيعتها القيادات المنحرفة، وشرشحتها قوى الشر والطغيان يستطيع اليوم وأكثر من أي يوم آخر ، إذا مشينا في خطاه أن يعيد إلينا وجهنا الضائع ، وأن يصوغ من أمتنا الممزقة أمة واحدة يشدّها الإيمان ، ويربطها الاصرار من أجل الخلاص ..

O ﴿٥﴾ OOOOOOOOOOOOOOOOOO

كم كان مقاتلو الحسين .؟

كم كان عدد أفراد العدو .؟

كم استغرقت المعركة من الوقت .؟

لا . إن المعادلة لا تبتدأ هكذا .

ثورة الحسين لا تقاس بحجم المقاتلين ، والعدو ولا بقدّ الوقت الذي امتصته حوادثها ونزالاتها .

ثورة الحسين هي بقدّ الأزمان كلها ، والاصقاع كلها . فكثافة الأحداث والمواقف ، وعدالة الأهداف والمعارك في

هذه الثورة هي الحدود الطبيعية لها .

أمّا ميلاد الفجر من يوم العاشر من المحرّم سنة ٦١ هـ الذي ابتدأت منه الثورة . وموت الشمس من نفس اليوم الذي انتهت إليه ، فلا يمكن أن يحدّد الثورة .

الثورة ابتدأت من لا زمان ، ولم تنته إلى زمان . ابتدأت من لا جهة ، ولم تنته إلى جهة .

لقد جمع الألحاد في كربلاء ، كل ما في تاريخه من أساليب وخطط ، ليقضي على الحسين . فواجهه الحسين بشيء واحد هو الحق الذي كان يحمله على كَتفيه .

فاحترقت أساليب الباطل . وانهار . .

ooooooooooooooooo ﴿٦﴾ o

«قتلوا الحسين في كربلاء» . ليست هذه هي كل القضية .

القضية ان كربلاء امتدت من تحت الأجساد الثائرة ، وامتدت معها ثورة الحسين ، واهدافها ومقاييسها ، واحداثها . .

وامتدّت . .

وامتدت . .

وامتدت . . حتى أصبحت «كل أرض كربلاء وكل يومٍ عاشوراء» .

كل موقف وقفه الحسين ، في ساحة كربلاء تحوّل إلى خطة كاملة ، لانتفاضة كاملة . .

كل ضربة سيف في يوم عاشوراء تحولت إلى اعصار من سيوف التمعت هنا وهناك في وجه السلطات . .

كل نقطة دم ، تحولت إلى فتيل في نهضة . .

كل كلمة لفظها الحسين تحوّلت إلى «كلمةالسر» في أكثر من انتفاضة ، وأكثر من ثورة .

ومن كربلاء عرف الشيعة كيف يصادقون السلاح . .

وكيف يعيشون إلى جنبه . .

ولكن الواقعة كانت تحتضن بعض أساليب الحق في التحدي : وبعض فدائياته أيضاً .

فالحسين لم يكن وحيداً في المعركة . ولم يناضل وحده .

كانت الطفولة البريئة، تناضل معه . .

وكانت الشيخوخة الهرمة ، تناضل معه . .

وكانت البراعم الشابة ذات الربيع الثاني عشر ، والثالث عشر ، تناضل معه . .

وكانت المرأة ـ ايضاً ـ تناضل معه . .

ولذلك ، فإنّ «أرشيف المواقف» في ثورة الحسين ، جاءت بضخامة الدنيا ،

لتستطيع أن تقدم للطفل ، والشيخ ، والشاب ، والمرأة جميعاً منهاجاً كاملاً للنضال ، وخطة واضحة للتحرك .

وكيف يحتضونه بشغف . .
وكيف يرفعونه في وجه السلطات . .

فنبتت على أكتاف ثورة كربلاء ثورة في الكوفة وثورة في البصرة ، وانتفاضة في مصر ، وحركة في اليمن ، وثورة في الشام ، وتمرّد في خراسان . حتى عمّت الثورات الخيّرة كل مناطق العالم الإسلامي وقلّبت المفاهيم الزائفة في ضرورة اطاعة السلطان مهما كان ظالماً ، وأحرقت كل عرش زائف . ثم ذرّت رماده في عيون المتسكعين حوله .

وأصبح الحسين بالنسبة إلى الناس عامة ، وبالنسبة إلى الشيعة على الأخص ، قضية مستمرة تطرح نفسها مع كل سلطة تحاول خنق الحق بالعنف . ومع كل سلطان يراوده وجود الباطل ، بالسيف .

OOOOOOOOOOOOOOOOO ﴿٧﴾ O

.. قضية الحسين وقعت ساخنة،
ويجب أن تبقى ساخنة.

ليس المهم كيف.؟ ولكن كيف يجب
أن نحافظ على غليان القضية.

ليكن في مواكب العزاء أو في المسيرات
الشعبية أو في مواكب التطبير، أو في أيّ
شكل آخر.

المهم: أن نحافظ على السخونة. وإلاَّ
سنضيّع الحسين.

صدّقوا... سنضيع الحسين.

قبل زمان ، قال قسيس مسيحي :

«لو كان الحسين لنا .

«لرفعنا له في كل بلد بيرقاً .

«ولنصبنا له في كل قرية منبراً

«ولدعونا الناس إلى المسيحية

«باسم الحسين .

وإذا لم نفعل نحن بالنسبة إلى الحسين ذلك ، الا يعني أننا نصْفَ ضيّعناه .؟

صحيح أن الحسين ثار من أَجل الله ، وما دام أَن الله لا يختص بأحد ، فالحسين لا يختص بأحد ، وان على كل إنسان مهما كان لون معتقده أن يرفع بيرق الحسين عالياً ، وأن يدعو العالم إليه . ولكن . أَلسنا

نحن مرشحين أكثر من غيرنا لتفجير قضيته .؟

وهذا ما لم نفعله حتى الآن . واعتذارنا في ذلك قد يكون شبه مقبول . فالحسين لا يحتاج إلى من يدعو إليه .

المعذبون في الأرض هم الذين يبحثون عن اسمه لأنّ في أكتشاف اسمه اكتشافاً لأسمائهم ، هم . ولا بد أنهم سيُكتشفون يوماً .

والمقهورون في الأرض هم الذين يسافرون إليه وحداناً وحداناً حيناً ، وزرافات زرافات أحياناً أخرى . لا بد أنهم سيصلون إليه يوماً .

غير أنّ هذا وحده لا يكفي .

إنّ الحسين قتل ساخناً ، ويجب أن يبقى ساخناً ليس لكي يبقى الحسين ، ولكن : لكي نبقى نحن . . .

* * *

○ ﴿٨﴾ ○○○○○○○○○○○○○○○○○

« . . وسينصبون لهذا الطف علماً لقبر سيّد

«الشهداء ، لا يُدرس أثره ، ولا يعفو رسمه

«على كرور اللّيالي والأيام .

«وليجتهدّن أئمة الكفر ، واشياع الضلالة

«في محوه وتطميسه ، فلا يزداد أثره إلاَّ

«ظهوراً ، وأمره إلاَّ علواً . !

هذه الكلمات الحادة التي رشتها زينب ، بطلة «الحرب النفسية» في ثورة الحسين ، على جثث شهداء كربلاء قبل أن يجفّ الدم على نحورهم هل كانت تشكّل تنبؤاً عضوياً ساذجاً من قِبل زينب .؟

لا نظن .

فالنقاط المضغوطة عليها في هذه المقطوعة ، والاعلان عنها من قبل زينب ، التي يفترض فيها كامرأة أن تنشدَّ إلى العواطف اليائسة ، وكذلك توقيت هذا الإعلان (بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من مقتل الحسين) كل ذِلك يشير بوضوح إلى أنّ ذلك كان منبعثاً عن حالة وعي شديدة لكافة ملابسات ونتائج الأحداث .

والقضية بالنسبة لنا لا تحتاج إلى أدلة

وبراهين ، لسبب بسيط جداً هو أننا اليوم نعيش بكلنا في داخل «تنبؤ» زينب . «فالعَلم» الذي قالت زينب انه «سيُنصب» منصوب فعلاً . ومحاولة «أئمة الكفر» «لمحوه وتطميسه» ومردودها العكسي ، أمر واقع فعلاً . والملايين التي تقصد الحسين في كل عام مما يؤدي إلى «أزدياد أثره» و«ظهوره» و«علوه» هو الآخر واقع فعلاً .

ولا بد أنه سيستمر . فلماذا .؟

لأن الحسين ، أصبح قضية . فكرة . خطة عمل .

ولأن هناك من لا تزال قضيته جزءاً من قضية الحسين فالحسين يبقى يرسل اليه

الأمل ، والعزم ، والأصرار ، ليواصل الكفاح .

ولأن هناك من لم يصل إليه ـ بعد ـ ضوءُ الإيمان ، فالحسين يبقى يأتلق ، ويأتلق ، ويأتلق حتى يمتد إليه الضوء .

ولأن هناك من يمارس الطغيان بعقلية الإلحاد ، فالحسين ثورة لا تنتهي .

هادي المدرسي

٥ / ٢ / ١٤٠١هـ